قَسَمُ جَهْدِ الأَيْمَانِ في القُرْآنِ

(التَحْلِيلُ، وَالتَعْلِيلُ)

إعـــداد

د / أحمد علي حمودة

مدرس البلاغة والنقد بقسم اللغة العربية

كلية الآداب - جامعة بورسعيد

ملخص

حاول الباحث في هذا البحث المعنون له بـ " قسم جهد الأيمان في القرآن (التحليل، والتعليل) أن يلقس ظلالا على مواضع (قسم جهد الأيمان) في القرآن ، وهي ليست بالكثيرة؛ خمسة مواضع منها أربعة بدأت بقوله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم)، وجاءت في سور الأنعام والنحل والنور وفاطر على ترتيب المصحف، أما الموضع الخامس من سورة المائدة فقد جاء القسم متوسطا في الآية.

بدأ البحث بتمهيد فصلت فيه مفردات العنوان كمفتاح للبحث (القسم لغة واصطلاحا، الفرق بين الجَهد والجُهد، الأيمان لغة واصطلاحا وشرعا، الحلف واليمين والقسم والفروق الدقيقة بينها، ثم شواهد البحث مصحوبة بالتفسير وأسباب النزول)، ثم انتقلت إلى مسائل البحث عارضا التساؤل ومحاولا الإجابة عنه، وأجاب البحث عن الأسئلة التالية :

- لماذا اختصت هذه المواضع دون غيرها من أقسام الكفرة والمشركين بتركيب (جهد أيمانهم)؟
- لماذا بدأت أربعة مواضع بـ (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) بينما جاء الموضع الخامس في منتصف الآية؟
- ما مغزى استخدم لفظ أيمانهم بالجمع لا بالمفرد؟
- لماذا اختار الحق سبحانه لفظ (أيمانهم) ولم يقل (قسمهم) أو (أقسامهم)؟

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحابته الغر الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد،،،

فقد منّ الله علينا بالإيمان، وشرّفنا بتلاوة القرآن، فأشرقت علينا بحمد الله أنواره، وبدت لذوي المعارف عند التلاوة أسراره، وفاضت على العارفين عند التدبر والتأمل بحاره، فسبحان من أنزل على عبده الكتاب، وجعله لأهل الفهم المتمسكين به من أعظم الأسباب.

فإن القرآن الكريم خير كتاب أنزل على أشرف رسول إلى خير أمة أخرجت للناس، بأفضل الشرائع وأسمحها وأكملها، وهو كلام الله المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين، بواسطة الأمين جبريل عليه السلام، المتلو بالألسنة، المحفوظ في الصدور، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته المبدوء بسورة الفاتحة المختتم بسورة الناس.

وهذا البحث هو جهد يسير وعمل صغير يدرس المواضع التي ورد فيها قسم "جهد الأيمان" في القرآن الكريم؛ فالقسم أسلوب تتميز به اللغة العربية، فيؤتي لتوكيد الكلام، وقد ورد قسم "جهد الأيمان" في القرآن الكريم في مواضع خمس، فرأيت أن آخذها موضوعا للبحث، فكان هذا الذي أقدم. ويبدأ البحث بتمهيد فيه القسم لغة واصطلاحا، ومعنى الجَهد والفرق بينه وبين الجُهد، ومعنى الأيمان لغة واصطلاحا وشرعا، ثم الفرق بين القسم والحلف واليمين، والشواهد القرآنية وتفسيرها وأسباب نزولها، ثم تلا التمهيد خمس مسائل:

المسألة الأولى: لماذا اختصت هذه المواضع دون غيرها من أقسام الكفرة والمشركين بتركيب (جهد أيمانهم)؟

المسألة الثانية: لماذا بدأت أربعة مواضع بـ (وأقسَمُوا باللهِ جهدَ أيمانِهِم)، بينما جاء الموضع الخامس في منتصف الآية؟

المسألة الثالثة: ما مغزى استخدم لفظ أيمانهم بالجمع لا بالمفرد؟

المسألة الرابعة: لماذا اختار الحق سبحانه لفظ (أيمانهم) ولم يقل (قسمهم) أو (أقسامهم)؟

المسألة الخامسة: بديع التراكيب والدلالات في الآيات. ثم جاءتِ الخاتمة وتشمل أهم النتائج.

وعلى الله قصد السبيل،،،
د. أحمد علي حمودة

تمهـــــيد:

أولًا- القَسَم لغة واصطلاحًا:

القسم لغة من مادة قسم (ق، س، م) [١]، وهذه المادة تحمل معنيين رئيسين هما:

الأول: - الحلف واليمين: وهو القسم – بفتح القاف والسين – وجمعه أقسام، مثل: سبب وأسباب، قسَمَه يقسِمه وقسَمه: جزأه، وهي القِسمة، قسَم الدهرُ القومَ: فرقهم، كقسَّمهم، قاسَمه الشيءَ: أخذ كلٌ قِسمه [٢]، القسم: اليمين، والجمع: أقسام، القسمُ أن يقع الشيءُ في قلب الإنسان فيظنه ثم يقوى ذلك الظنُ فيصير حقيقة [٣]، والقسَم بمعنى اليمين، وأصله من القسامة، وهي أيمان تقسَم على أولياء القتيل إذا ادَّعوا على رَجُل أنه قتل صاحبَهم، ومعهم دليل دون البيِّنة، فيحلِفُون خمسين يمينًا تقسَم عليهم، ثمَّ صار اسمًا لِكل حلف، فكأنه - أي القسَم - كان في الأصل تقسيمَ أيمان، ثمَّ صار يُستعمل في نفس الحَلف والأيمان[٤].

الثاني: التجزئة والتفريق: وهو – القسم – بسكون السين، وجمعه أقسام، وترجع إليه مشتقات عديدة منها: قسم الشيء يقسه قسمًا: بمعنى: جزأه وفرقه، ويكون بمعنى: قدر ونظر، كقولك: هو يقسم أمره، أي: يقدره ويدبره، القِسْم والمِقسَم والقسيم نصيب الإنسان من الشيء، قسَمْت الشيء بين الشركاء وأعطيت كل شريك مقسَمه وقِسْمه وقسيمه، وسمي مقسم بهذا وهو اسم رجل [٥].

أمَّا أسلوب القسم في الاصطلاح: فهو أداة من أدوات توكيد الكلام، وإظهار معانيه ومقاصده على النحو الذي يريده المتحدث، يتم اللجوء إليه لدفع الإنكار، أو إزالة الشك والريبة، وتوثيق العهود المعقودة، والقسم من المؤكدات المشهورة التي تمكن الشيء في النفس وتعززه، والمعروف أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب، وعلى أسلوب كلامهم، وطرق خطابهم، وكان من عادتهم أنهم إذا قصدوا توكيد الأخبار وتقريرها، جاءوا بالقسم، وعلى هذا جاءت في القرآن الكريم أقسام متنوعة، في مواضيع شتى؛ لتوكيد ما يحتاج إلى التوكيد.

وأسلوب القسم في اللغة العربية من المؤكدات المشهورة، وقد شاع استخدامه بكثرة عند العرب، فهو -كما قلنا- يزيل الشكوك، ويمكن المعنى

في نفس السامع [٦]، ويتكون أسلوب القسَم من جملتين: الأولى جملة القسَم، والثانية جملة جواب القسَم. وقد تكون جملة القسَم جملة فِعليَّة أو جملة اسميَّة، فالجملة الفعليَّة، نحو: "حلفتُ باللهِ، وأقسَمتُ وآليتُ وعلِم اللهُ، ويعلمُ اللهُ". والجملة الاسميَّة، نحو: "لعَمرُكَ، ولعَمرُ أبيكَ، ولعَمرُ اللهِ، ويَمينُ اللهِ، وأيمُنُ اللهِ، وأمانةُ اللهِ، وعليَّ عهدُ اللهِ لأفعلنَّ أو لا أفعلُ، و..."[٧].

والقسَم توكيد للكلام، وبيان له، وإلى ذلك أشار سيبويه بقوله: "اعلم أن القسَم توكيدٌ لكلامك. فإذا حلفتَ على فِعلٍ غيرِ منفيٍّ لم يقع لزمتْه اللام، ولزِمت اللام النُون الخفيفة أو الثقيلة في آخرِ الكلمة، وذلك قولك: لأفعلنَّ، واعلم أن من الأفعال أشياء فيها معنى اليَمين، يجري الفِعل بعدها مَجراه، بعد قولك: واللهِ، وذلكَ قولكَ: أقسِمُ لأفعلنَّ، وأشهدُ لأفعلنَّ، وأقسَمتُ باللهِ عليكَ لتفعلنَّ"[٨].

ووجود القسَم سَبب في وجود جواب القسَم، فلا يُمكن أن يأتي الجواب دون أن يُمهَّد له بالقسَم، فالترابط بينهما واضح، وهو ترابطٌ في المعنى والصناعة النحويَّة، علمًا بأن جملة جواب القسَم لا مَحل لها من الإعراب، أي: أنها لا تشغل وظيفة يُمكن أن يشغلها المفرد؛ وذلك لأن جواب القسَم خبر، أي يحتمل الصدق والكذب، وقد يكُون نفيًا أو إثباتًا، والغرض من القسَم توكيدُ ما يُقسَمُ عليه من نفي أو إثبات، وليس معنى كون جواب القسَم لا مَحلَّ له من الإعراب أنه غير مترابطٍ مع القسَم [٩].

ثانيًا- معنى الجَهد، والفرق بينه وبين الجُهد:

الجَهدُ والجُهدُ: الطاقة، تقول: اجهد جهدَك، وقيل: الجَهد المشقة، والجُهد الطاقة [١٠]. والجَهدُ ما جهد الإنسان من مرض أو أمر شاق، فهو مجهود، والجُهد لغة بهذا المعنى [١١]، وفي حديث أمِّ معبد: شاة خلفها الجَهد عن الغنم [١٢]، قال ابن الأثير: قد تكرر لفظ الجَهد والجُهد في الحديث، وهو بالفتح، المشقة، وقيل: هما لغتان في الوسع والطاقة، فأما في المشقة والغاية فالفتح لا غير، ويريد به في حديث أم معبد في الشاة الهُزال، ومن المضموم حديث الصدقة أيُّ الصدقة أفضل[١٣].

يُقال: جُهدُ المقِلِّ أيْ قدر ما يحتمله حال القليل المال، وجُهدُ الرجل إذا هُزِل، قال سيبويه: وقالوا طلبته جُهدَك، أضافوا المصدر وإن كان في موضع الحال،

كما أدخلوا فيه الألف واللام حين قالوا: أرسلها العراكَ، قال: وليس كل مصدر مضافا، كما أنه ليس كل مصدر تدخله الألف واللام، وجهد يجهد جهدا واجتهد، كلاهما: جدّ، وجهدَ دابته جهدا وأجهدها: بلغ جهدها وحمل عليها في السير فوق طاقتها [١٤].

والجُهد: الشيء القليل يعيش به المقِلُّ على جهد العيش، تقول: هذا جهدي أي طاقتي [١٥]، يقول تعالى: ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم﴾ [١٦]، وقرئ: والذين لا يجدون إلا جهدهم وجهدهم، بالضم والفتح [١٧]، الجُهد، بالضم: الطاقة، والجَهد، بالفتح: من قولك اجهد جهدك في هذا الأمر أي ابلغ غايتك[١٨]. قال الشاعر:

فجالت وجال لها أربع
جهدنا لها مع إجهادها [١٩]

ويقول آخر:

إذا رأينا محبًا قد أضرّ به
جهدُ الصبابة أوليناه إحسانا [٢٠]

يتضح من ذلك أن الجَهد بفتح الجيم يفيد عظم المشقة ومنتهى الطاقة والوسع، ومن هنا يتضح سبب إضافة كلمة جهد إلى الأيمان؛ للدلالة على عظم القسم وتغليظ اليمين.

ثالثًا- الأيمان لغةً، واصطلاحًا، وشرعًا:

اليمين لغة: ضد اليسار، وهي أيضا اليد اليمنى، والجمع أيمُن وأيمان، واليمين أيضا في اللغة: القوة، وهو في اللغة أيضا: الحلف؛ وإنما سمي كذلك لأنهم كانوا في الجاهلية عند الحلف يضرب كل واحد منهم يمينه على الآخر حتى غلب عليه إطلاق اليمين، وقد ورد لفظ "اليمين" بمشتقاته في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، بما يفيد اليمين الذي هو عكس الشمال، واليمين بمعنى القسم، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿*وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون* سلطان *ألا*

تقاتلون قومًا نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين [٢١].

واليمين اصطلاحًا: هو الحلف بالله تعالى بأسمائه أو بصفاته، وهو لازم لا يجوز حنثه[٢٢]، ومفرد الأيمان "يمين": القسم مؤنث؛ لأنهم كانوا يتماسحون بأيمانهم، فيتحالفون، ايمن الله، وايم الله، وايمن الله، وايم الله، وايمن الله، بفتح الميم والهمزة وايمن، وايم الله [٢٣]، يقال: يمين الله لأفعلن، بالنصب على حذف حرف القسم، كما يقال: الله لأفعلن، أي والله، ويجوز يمين الله، بالرفع على الابتداء، والخبر محذوف تقديره يمين الله عليّ، أو لازمة لي، ويقولون: ايم الله، بحذف النون كما حذفت في قولهم: " لم يك "من قولهم: " لم يكن "[٢٤].

واليمين في الشرع: تقوية أحد طرفي الخبر بذكر الله تعالى أو التعليق؛ فإن اليمين بغير الله ذكر الشرط والجزاء، وجمعها الأيمان، واليمين أيضًا ضد اليسار للجهة والجارحة، واللغو من اليمين: هو أن يحلف على شيء ويرى أنه كذلك وليس كما يرى في الواقع، هذا عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى، وقال الشافعي رحمه الله تعالى: هي ما لا يعقد الرجل قلبه عليه كقوله: لا والله بلى والله [٢٥].

رابعًا- الفرق بين القسم، والحلف، واليمين:

القسم أبلغ من الحلف؛ لأن معنى قولنا: أقسم بالله أنه صار ذا قسم بالله، والقسم النصيب والمراد أن الذي أقسم عليه من المال وغيره قد أحرزه ودفع عنه الخصم بالله، والحلف من قولك: سيف حليف أي قاطع ماض، فإذا قلت: حلف بالله فكأنك قلت قطع المخاصمة بالله، فالأول أبلغ، لأنه يتضمن معنى الآخر مع دفع الخصم ففيه معنيان، بينما قولنا: حلف يفيد معنى واحدا وهو قطع المخاصمة فقط، وذلك أن من أحرز الشيء باستحقاق في الظاهر فلا خصومة بينه وبين أحد فيه، وليس كل من دفع الخصومة في الشيء فقد أحرزه، واليمين اسم للقسم مستعار، وذلك أنهم كانوا إذا تقاسموا على شيء تصافقوا بأيمانهم، ثم كثر ذلك حتى سمي القسم يمينًا.

ويعدُ القسم في القرآن الكريم وسيلة من وسائل الإقناع وإقامة الحجة على المنكرين؛ ذلك أن الاستعداد النفسي عند المخاطبين بقضية من قضايا الحق يختلف من شخص لآخر، فمنهم من صفت نفسه من شوائب التعصب، واستقامت فطرته، وهذا النوع سرعان ما ينفتح قلبه لإشعاع الحق، ويكفيه عند ذلك مجرد البيان لهذا الحق والدعوة إليه، ومنهم من رانت على نفسه سحب الجهل، وغشيتها ظلمات الباطل، وهذا النوع يحتاج في سلوك السبيل إلى قلبه أنواعا من الزجر، وصيغ التأكيد، والقسم في الخطاب أسلوب من أساليب التأكيد التي يتخللها البرهان المفحم، وإلجاء الخصم إلى الاعتراف بما كان ينكر.

واليمين صيغة تتضمن القسم بالله تعالى تأكيدا على صدق الإخبار بوقوع شيء أو عدم وقوعه، أو على العزم على ترك شيء أو فعله من قبل الآخر أو النفس، والهدف منه هو: إشهاد الله تعالى شأنه على صدق المتحدث فيما يخبر عنه، أو إشهاده تعالى على صحة عزم الحالف على فعل شيء أو تركه، أو جعله تعالى وسيطا وشفيعا في حث المطلوب منه على فعل شيء أو تركه، وقد استخدم الحلف في القرآن الكريم للإشارة إلى مواقف الخداع والكذب والتشكك، مع الكفار والمنافقين [٢٦]، والقسم أشمل وأعم من اليمين؛ لأنه ارتبط بمعنى التوكيد، حيث جاء في تفسير معنى: "أقسموا" أي أقسموا أقوى قسم، وذلك بالتوكيد والتكرير، ونحو ذلك بما يغلظ به اليمين عرفا [٢٧]، فالقسم يأتي لتأكيد معانٍ دلالية متنوعة ومتعددة؛ فقد أقسم المولى سبحانه وتعالى بنفسه تارة وبمخلوقاته تارة أخرى، لأنها تدل على عظمة الخالق وعلوه وجلاله.

وهنا يتضح الفارق بين القسم والحلف واليمين، عند اللغويين والفقهاء؛ فالفقهاء يرون أن القسم لا يكون إلا بالله سبحانه وتعالى أو بأحد أسمائه أو صفاته، أما عند اللغويين فالقسم يكون بالله أو بغيره، فعلماء اللغة يميلون إلى استعمال لفظ القسم، بينما يميل الفقهاء إلى استخدام مصطلح اليمين.

خامسًا- الشواهد القرآنية تفسيرها، وأسباب نزولها:

الشاهد الأول: قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ [٢٨]، ﴿ويقول الذين آمنوا﴾ متعجبين من حال هؤلاء الذين في قلوبهم مرض ﴿أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم﴾ أي: حلفوا وأكدوا حلفهم، وغلظوه بأنواع

التأكيدات: إنهم لمعكم في الإيمان، وما يلزمه من النصرة والمحبة والموالاة، ظهر ما أضمروه، وتبين ما أسروه، وصار كيدهم الذي كادوه، وظنهم الذي ظنوه بالإسلام وأهله باطلا، فبطل كيدهم وبطلت ﴿أعمالهم﴾ ﴿في الدنيا ﴿فأصبحوا خاسرين﴾ حيث فاتهم مقصودهم، وحضرهم الشقاء والعذاب [٢٩].

واختلف المفسّرون في سبب نزول هذه الآيات الكريمات؛ فذكر السُدّيّ أنها نزلت في رجلين قال أحدهما لصاحبه بعد وقعة أحد: أمّا أنا فإني ذاهب إلى ذلك اليهودي فآوِي إليه وأتهوّد معه لعله ينفعني إذا وقع أمر أو حدث حادث، وقال الآخر: أما أنا فإني ذاهب إلى فلان النصراني بالشام فآوِي إليه وأتنصّر معه فأنزل الله: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ..." الآيات. وقال عكرمة: نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر حين بعثه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى بني قريظة فسألوه ماذا هو صانع بنا فأشار بيده إلى حلقه أيْ إنه الذبح رواه ابن جرير، وقيل: نزلت في عبد الله بن أبيّ بن سلول [٣٠].

<u>الشاهد الثاني</u>: قوله تعالى: ﴿وأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۖ قُلْ إِنَمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ۖ وما يُشْعِرُكُمْ أَنهَا إذا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [٣١]، يقول تعالى إخبارا عن المشركين: إنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم، أي: حلفوا أيمانا مؤكدة "لئن جاءتهم آية" أي: معجزة وخارق، ليؤمنن بها، أي: ليصدقنها، قل إنما الآيات عند الله، أي: قل يا محمد لهؤلاء الذين يسألونك الآيات تعنتا وكفرا وعنادا، لا على سبيل الهدى والاسترشاد: إنما مرجع هذه الآيات إلى الله، إن شاء أجابكم، وإن شاء تركهم [٣٢].

ويذكر القرطبي في سبب نزول هذه الآية أن قريشا قالت: يا محمد إنك تخبرنا أن موسى كان معه عصى يضرب بها الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عينا، وتخبرنا أن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى فأتنا من الآيات حتى نصدقك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي شيء تحبون؟ قالوا: تجعل لنا الصفا ذهبا أو ابعث لنا بعض أمواتنا حتى نسأله عنك أحق ما تقول أم باطل، أو أرنا الملائكة يشهدون لك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإن فعلت بعض ما تقولون أتصدقونني؟ قالوا: نعم والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعين، وسأل المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله أن يجعل الصفا ذهبا فجاءه جبريل عليه السلام، فقال له: اختر ما

شئت إن شئت أصبح ذهبا ولكن إن لم يصدقوا عذبتهم، وإن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل يتوب تائبهم، فأنزل الله عز وجل، (و أقسموا بالله جهد أيمانهم(أي: حلفوا بالله جهد أيمانهم، أي: بجهد أيمانهم، يعني أوكد ما قدروا عليه من الأيمان وأشدها [٣٣].

الشاهد الثالث: قوله تعالى: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [٣٤]، يقول تعالى ذكره: وحلف هؤلاء المشركون من قريش بالله جهد أيمانهم حلفهم، لا يبعث الله من يموت بعد مماته، وكذبوا وأبطلوا في أيمانهم التي حلفوا بها كذلك، بل سيبعثه الله بعد مماته، وعدا عليه أن يبعثهم وعد عباده، والله لا يخلف الميعاد (ولكنّ أكثرَ النّاسِ لا يعلمون)، يقول: ولكن أكثر قريش لا يعلمون وعد الله عباده، أنه باعثهم يوم القيامة بعد مماتهم أحياء [٣٥].

وورد في سبب نزول هذه الآية أن رجلا من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم حلف عند رجل من المكذبين، فقال: والذي يرسل الروح من بعد الموت، فقال: وإنك لتزعم أنك مبعوث من بعد الموت، وأقسم بالله جهد يمينه: لا يبعث الله من يموت [٣٦]، وذكر البغوي في سبب نزول هذه الآية أن رجلا من المسلمين كان له على رجل من المشركين دين، فأتاه يتقاضاه، فكان فيما تكلم به: والذي أرجوه بعد الموت إنه لكذا، فقال المشرك: إنك تزعم أنك تبعث بعد الموت، فأقسم بالله جهد يمينه: لا يبعث الله من يموت، فأنزل الله عز وجل هذه الآية [٣٧].

الشاهد الرابع: قوله تعالى: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [٣٨]، وأقسم المنافقون بالله تعالى غاية اجتهادهم في الأيمان المغلظة: لئن أمرتنا ـ أيها الرسول ـ بالخروج للجهاد معك لنخرجن، قل لهم: لا تحلفوا كذبا، فطاعتكم معروفة بأنها باللسان فحسب، إن الله خبير بما تعملونه، وسيجازيكم عليه [٣٩].

ورد في سبب نزول الآية أن الحق سبحانه وتعالى أخبر عن حالة المتخلفين عن الرسول صلى الله عليه وسلم في الجهاد من المنافقين، ومن في قلوبهم مرض وضعف إيمان أنهم يقسمون بالله،) لئنْ أمرتهمْ (فيما يستقبل، أو لئن نصصت عليهم حين خرجت (ليخرجنّ) والمعنى الأول أولى. قال الله ـ رادا عليهم: (قلْ لا

تقسِمُوا ﴾ أي: لا نحتاج إلى إقسامكم ولا إلى أعذاركم، فإن الله قد نبأنا من أخباركم، وطاعتكم معروفة، لا تخفى علينا، قد كنا نعرف منكم التثاقل والكسل من غير عذر، فلا وجه لعذركم وقسمكم، إنما يحتاج إلى ذلك، من كان أمره محتملا، وحاله مشتبهة، فهذا ربما يفيده العذر براءة، وأما أنتم فكلا ولما، وإنما ينتظر بكم ويخاف عليكم حلول بأس الله ونقمته، ولهذا توعدهم بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليها أتم الجزاء، [٤٠]، وذلك كما تقول لمن اشتهر بالكذب: لا تحلف لي على صدقك، فأمرك معروف لا يحتاج إلى قسم أو دليل [٤١].

الشاهد الخامس: قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [٤٢]، (وأقسموا) أي كفار مكة (بالله جهد أيمانهم) غاية اجتهادهم فيها (لئن جاءهم نذير) رسول (ليكونن أهدى من إحدى الأمم) اليهود والنصارى وغيرهم، أية واحدة منها لما رأوا من تكذيب بعضهم بعضا، إذ قالت اليهود: ليست النصارى على شيء، (فلما جاءهم نذير) النبي محمد صلى الله عليه وسلم « ما زادهم) مجيئه (إلا نفورا) أي تباعدا عن الهُدى [٤٣].

وذكر ابن كثير الدمشقي في سبب نزول هذه الآية: "يُخبر تعالى عن قريش والعرب أنهم أقسَموا بالله جهد أيمانهم قبل إرسال الرسول إليهم لئن جاءهم نذير ليكُونن أهدى من إحدى الأمم أي من جميع الأمم الذين أرسل إليهم الرُسل قاله الضحاك وغيره كقوله تعالى: " أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفة من قبلنا وإن كُنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكُنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها". وكقوله تعالى: "وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكُنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون"، قال الله تعالى: "فلما جاءهم نذير" وهو محمد صلى الله عليه وسلم بما أنزل معه من الكتاب العظيم وهو القرآن المبين" ما زادهم إلا نفورا "أي ما ازدادوا إلا كفرا إلى كفرهم [٤٤]، وقوله (ما زادهم إلا نفورا) يقول الطبري: ما زادهم مجيء النذير من الإيمان بالله واتباع الحق وسلوك هدى الطريق، إلا نفورا وهربا [٤٥]، يقول القرطبي: كانت

العرب تتمنى أن يكون منهم رسول كما كانت الرسل من بني إسرائيل، فلما جاءهم ما تمنوه وهو النذير من أنفسهم، نفروا عنه ولم يؤمنوا به [٤٦].

من تفسير الآيات وسبب نزولها نجد أنها اقترنت بالمشركين والمنافقين، حتى الآية الأولى التي ورد بها قسم جهد الأيمان في سورة المائدة على لسان المؤمنين كانت بمثابة وصف للمشركين ومصيرهم ومآلهم بعد الكفر والتكذيب، وهنا تظهر عظمة القرآن الكريم وبلاغته؛ فلقد كان العرب على إدراك تام لفصاحة القرآن الكريم، وأن آياته تحوي من الفصاحة ما تحوي، وأن لتعبيراته نمطا يخالف في نسقه ونظمه وحسن تأليفه ما دأب عليه العرب في نثرهم وشعرهم، الأولى أن القرآن الكريم معجز في بلاغته وفصاحته، والثانية أن العرب كانوا على وعي تام بهذه البلاغة وتلك الفصاحة التي امتاز بها القرآن الكريم عن غيره من كلام البشر والعرب.

مسائل البحث:

المسألة الأولى: لماذا اختصت هذه المواضع دون غيرها من أقسام الكفرة والمشركين بتركيب (جهد أيمانهم) ؟:

خرج النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه في مجتمع لعبت به الأهواء، وتحكمت به الشهوات، واستذله قهر الرجال، وجاءهم بقرآن كريم يهدي للتي هي أقوم، وينتشلهم من قاع الرذيلة، ليصعد بهم إلى معالي الفضيلة، ويحررهم من الرق الذي يرزحون في أغلاله، ويجعلهم أحرارًا كرامًا لا يخضعون إلا لرب واحد، لا إله إلا هو، لكن هذا القرآن العظيم الذي غير البشرية على وجه الأرض كان تأثيره في العرب على نوعين: تأثيره في المشركين المعاندين الذين أبوا أن يستجيبوا للحق، وتأثيره في المؤمنين الأطهار الذين تقبلوا الحق واستسلموا له.

وقد كان لموضوع القسم عند العرب أهمية كبرى في حياتهم وتعاملاتهم البينية، وبما أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين فقد استخدم القسم في الكثير من مواضعه، والجدير بالذكر أن الأيمان والأقسام التي وردت في القرآن الكريم كان بعضها على لسان الحق سبحانه وتعالى والبعض الآخر على ألسنة البشر، وفي هذا البحث نتناول قسم جهد الأيمان الذي ورد على ألسنة الكفار والمنافقين دون غيره من الأقسام، والأيمان التي وردت في القرآن الكريم على لسان البشر وهي عديدة منها قوله تعالى: ﴿ويَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ (٤٧)، وقوله سبحانه: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ (٤٨)، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ (٤٩)، وقوله تعالى: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ (٥٠).

وجهد الأيمان يراد بها غاية الطاقة أو منتهى الأيمان وأعظمها، فقد كان العرب يقسمون بآبائهم وأجدادهم، وكانوا يقسمون بأصنامهم وتماثيلهم، وجهد الأيمان هنا هو أعلى درجات اليمين وأعظمها، ويرى القاضي شهاب الدين أن لفظ (أقسَمُوا) بيان لحال المشركين والمنافقين الممتنعين عن قبول حكمه، وقوله: (جهدَ أيمانِهِمْ) منصوب على الحالية، أو هو مصدر لأقسموا من معناه، وهو مستعار من جهد نفسه أبلغ وسعها، أي أكدوا الأيمان وشددوها(٥١)، ويقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (جهدَ أيمانِهِمْ) يعني أبلغ ما يكون من الأيمان، وهو إما أن

يكون بالصيغة، وإما أن يكون بقرنه بالشهادة، وإما بقرنه بالدعاء على الحالف وما أشبه ذلك، وهؤلاء يقسمون أقوى وأشد ما يكون من الأقسام ﴿إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ أي مع المؤمنين، يقسمون بذلك إنهم لمعهم لكنهم ليسوا معهم [٥٢].

يقول الشيخ الشعراوي رحمه الله: ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ تعرف منها الجهد وهو المشقة، أي أنهم بالغوا في القسم مبالغة تجهدهم ليبينوا لمن يقسمون له أنهم حريصون على أن يبروا بقسمهم، فأفرغوا جهدهم ومشقتهم في القسم، وهذا معناه أنهم أعلنوا أنهم يقسمون قسمًا محبوبًا لهم، والمحبوب لهم أكثر أن ينفذوا هذا القسم، وهذا يدل في ظاهره على إخلاصهم في القسم [٥٣]، جاهدين في أيمانهم أي بالغوا فيها حتى بلغوا غاية شدتها ووكادتها [٥٤]، وفي تفسير أبي الليث كل من حلف بالله فهو جهد اليمين؛ لأنهم كانوا يحلفون بالأصنام وبآبائهم ويسمون اليمين بالله جهد أيمانهم [٥٥].

ويرى الألوسي أن ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي جاهدين فيها، فجهد مصدر في موضع الحال، وجهد أيمانهم أي أوكدها وهو بفتح الجيم وضمها في الأصل بمعنى الطاقة والمشقة، وبالضم الوسع، وقيل: بالفتح المشقة وبالضم الوسع، وقيل ما يجهد الإنسان، والمعنى هنا أنهم حلفوا واجتهدوا في الحلف أن يأتوا به على أبلغ ما في وسعهم [٥٦]، ويرى الطاهر بن عاشور التونسي أن الجَهْد بفتح الجيم وسكون الهاء: منتهى الطاقة، ولذلك يطلق على المشقة كما في حديث بدء الوحي فغطني حتى بلغ مني الجهد؛ لأن الأمر الشاق لا يعمل إلا بمنتهى الطاقة، وهو مصدر (جهد) كمنع متعديًا إذا أتعب غيره، والتقدير: جاهدين أنفسهم، أي: بالغين بها أقصى الطاقة، وهذا على طريقة التجريد، ومعنى ذلك: أنهم كرروا الأيمان وعددوا عباراتها حتى أتعبوا أنفسهم ليوهموا أنهم صادقون في أيمانهم، وإضافة (جهد) إلى ﴿أَيْمَانِهِمْ﴾ على هذا الوجه إضافة على معنى (من)، أي جهدا ناشئا من أيمانهم [٥٧].

"إن جاهلية العرب لم تكن تجحد الله البتة، ولم تكن تجعل معه إلها آخر يساويه، ولكنها إنما كانت تجعل معه آلهة ـ من دونه ـ أقل منه منزلة ورتبة، وكانوا يقولون: إنهم إنما يتخذون من هذه الآلهة شفعاء يقربونهم إلى الله، وفي هذا كان شركهم، وبهذا كانوا مشركين، وكان من شركهم كذلك أن يبتدعوا هم من عند أنفسهم شرائع وتقاليد في حياتهم، ثم يزعمون أن الله شرعها لهم، وأمرهم بها ولقد كان العرب يرون اليهود أهل كتاب يجاورونهم

في الجزيرة، وكانوا يرون من أمر انحرافهم وسوء سلوكهم ما يرون، وكانوا يسمعون من تاريخهم وقتلهم رسلهم، وإعراضهم عن الحق الذي جاءوهم به، وكانوا إذ ذاك ينحون على اليهود، ويقسمون بالله حتى ما يدعون مجالا للتشديد في القسم: لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم، يعنون اليهود، يعرضون بهم بهذا التعبير ولا يصرحون، ثم يعرض ما كان منهم بعد ذلك حينما حقق الله أمنيتهم، وأرسل فيهم نذيرا، وإنه لقبيح بمن كانوا يقسمون هذه الأيمان المشددة أن يكون هذا مسلكهم استكبارا في الأرض ومكر السيئ"[٥٨].

مما سبق يمكن أن نستخلص الأسباب وراء استخدام قسم (جهد الأيمان) دون غيره من الأقسام في هذه المواضع الخمس، فالآيات الخمس كلها جاءت عن المشركين والمنافقين، فالمشركون في مكة كان بعضهم لا ينكر وجود الله بالكلية وكانوا يتخذون أصنامًا وأوثانًا كآلهة بزعم التقرب إلى الله والشفاعة إليه، وكان القسم الدارج على ألسنتهم هو القسم بالآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله كاللات والعزى وهبل ومناة وغيرها، كما كانوا يقسمون بآبائهم في مناسبات أخرى.

وحينما بدأت الدعوة المحمدية في الظهور والانتشار مثل ذلك انقلابًا كبيرًا في حياة ذلك المجتمع الجاهلي الوثني الذي كان يأمل في ظهور نبي في أرض العرب على غرار الأقوام الأخرى، ولاسيما اليهود الذين كانوا يجاورونهم ويعاملونهم في الجزيرة العربية، لكن مع بدء الدعوة للإسلام برز الإنكار والتكذيب وتحول إلى عداء وإيذاء رغم الأيمان التي أوقعها هؤلاء على أنفسهم باتباع النبي حال ظهور دعوته.

كما أن أحوال المنافقين كانت شبيهة بأحوال المشركين غير أن المشركين كان يجاهرون برفض الدعوة وتكذيبها بخلاف المنافقين الذين كان يُظهرون عكس ما يُضمرون، كذلك الحال بالنسبة لليهود في مجتمع المدينة، الذين أقسموا بالوقوف مع المسلمين والجهاد معهم لكن النية المبيتة لم تكن على ما أقسموا عليه فحنثوا بقسمهم وخانوا أماناتهم.

ونظرًا لعظم الأمر الذي استدعى القسم سواء ذلك المتعلق باتباع الإسلام وما في ذلك من عِظم التبعات والنتائج، أم في الانضمام للجهاد والوقوف مع الدعوة، لجأ هؤلاء الكاذبين الحانثين إلى جهد الأيمان وتشديد القسم والمبالغة فيه ونسبه إلى الله سبحانه وتعالى دون غيره مما يعتقدون، واستخدام كل ما في وسعهم من

أجل محاولة إقناع المسلمين واستمالتهم، ونرى هنا أن المشركين مثلا كانوا يقسمون ويجتهدون في قسمهم، وتأكيد أيمانهم استنادا إلى يقينهم الجازم بأن ما يرونه هو الصحيح من وجهة نظرهم، فقد سعوا إلى الاجتهاد في تأكيد القسم وإثباته، أما المنافقون فكانوا يحلفون من الأساس زورا وكذبا، وذلك مصداقا لقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ويحلِفُون على الكَذِبِ وهم يعلمُون﴾ (٥٩).

المسألة الثانية: لماذا بدأت أربعة مواضع بـ ﴿وأقْسَمُوا بِاللَهِ جَهْدَ أيْمَانِهِمْ﴾ بينما جاء الموضع الخامس في منتصف الآية؟:

في هذه الآيات الخمس نلحظ أن أربعة منها بدأت بـ ﴿وأقسَمُوا باللهِ جهْدَ أيمانِهِمْ﴾ بينما في قوله تعالى: ﴿ويَقولُ الذين آمَنُوا أهَٰؤلاء الذين أقسَمُوا باللهِ جهْدَ أيمَانِهِمْ ۙ إنهُمْ لمعَكُمْ ۚ حبطت أعمالُهمْ فأصبَحُوا خاسِرِين﴾ (٦٠)، جاءت في منتصف الآية، وهو أمر مرده إلى بلاغة القرآن الكريم وتنوع خطابه بتنوع المخاطبين، فمن تأمل الخطاب القرآني في أسلوبه وبلاغته، وفي تصريفه وتنويعه، استبان له وجه بديع من أوجه الإعجاز القرآني، وخصيصة من خصائصه الأكيدة، وبيان ذلك في شمولية الخطاب القرآني لجميع أصناف المخاطبين، على اختلاف أجناسهم، وأمكِنتهم، ومِللهم.

وهذا فارق بديع في نوعية الخطاب القرآني البليغ من غيره من سائر الخطابات، حيث إننا إذا نظرنا إلى الخطاب البشري مهما بلغ من بلاغته وروعته، وبيانه وفصاحته، فإنه لا يعنى بجميع الجوانب الإنسانية في ندائه، من حيث مخاطبته للعقل والعاطفة معًا، أو مخاطبته للعامة والخاصة كذلك، بل إنه ربما يعنى بجانب على حساب جانب آخر، ولا يقيم الميزان الحق بينهما، ومن ثمَ فهو خطاب بشري يعتريه النقص والخطأ، ولا يصل إلى ذروة الكمال أبدا مهما أوتي صاحبه من الفصاحة والبيان.

يقول الإمام الطبري عن هذه الآية: "يصبح المنافقون، إذا أتى الله بالفتح أو أمرٍ من عنده، على ما أسروا في أنفسهم نادمين، يقول المؤمنون تعجبًا منهم ومن نفاقهم وكذبهم واجترائهم على الله في أيمانهم الكاذبة بالله: أهؤلاء الذين أقسموا لنا بالله إنهم لمعنا، وهم كاذبون وحانثون في أيمانهم لنا "(٦١)، ويرى الشيخ الشعراوي رحمه الله: "هنا يرى المؤمنون رأي العين ندم هؤلاء، والندم انكسار

القلب في الحاضر على تصرف سابق مثلما يرتكب إنسان حماقة وتظهر آثارها من بعد ذلك، فيقول: يا ليتني لم أكن قد فعلت ذلك، إنه انكسار نفس على تصرف سابق، وانكسار النفس يتضح على بشرة الوجه، وساعة يأتي الفتح تجد المنافقين وأهل الكتاب مكبوتين كبتا قسريا وهو الكبت الذي لا يجرؤ صاحبه عليه فيدعي أنه فرحان، وظهور أثر ذلك على وجوههم [٦٢].

وهنا يبدع الشيخ الشعراوي -عليه سحائب الرحمة- في وصف حال المؤمنين ورد فعلهم على ما آل إليه حالهم من نعيم وحال المنافقين من خذلان وحزن، يقول: "يفطن المؤمنون إلى ذلك فيقولون: ﴿أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم﴾، ولو كان هؤلاء المنافقون من الصادقين لفرحوا ولكانت أساريرهم متهللة، ولظهرت عليهم الغبطة، لكنهم صاروا على خلاف ذلك، فقد أصبحوا نادمين مكبوتين، ﴿حبطت أعمالهم﴾، والحبط: هو الانتفاخ الذي يصيب البهيمة التي تأكل طعاما غير مناسب لها، فيظن الناس أنها قد سمنت ولكنهم يلتفتون فيجدون أنها مصابة بانتفاخ قاتل، ﴿حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين﴾. والخسارة في معناها الواضح: أن يقل رأس المال، لقد فعل المنافقون ذلك ليستروا أنفسهم وراء المسلمين ولم يسلم لهم هذا الأمر وانكشفوا" [٦٣].

يقول الشيخ المراغي عن هذا القسم: "يقول بعض المؤمنين لبعض متعجبين من حال المنافقين، إذا أقسموا بأغلظ الأيمان لهم إنهم معكم وإنهم معاضدوكم على أعدائكم اليهود، فلما حل بهم ما حل أظهروا ما كانوا يسرونه من موالاتهم ومما لأتهم على المؤمنين كما قال في سورة براءة « ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون » أي فهم لفرقهم وخوفهم يظهرون الإسلام تقية، وفي هذه الآية إخبار بالغيب، وقد صدق الله وعده، وخذل الكافرين، وفضح المنافقين، والعاقبة للمتقين، ولكن أني لهم أن يعتبروا بمثل هذا؟ " [٦٤]، يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "المنافقون يروجون باطلهم ونفاقهم بالأيمان، ولهذا قال بعض الناس: إذا رأيت الذي يكثر الأيمان على ما لا يحتاج إلى كثرة الأيمان فاعلم أنه كاذب؛ لأنه يريد أن يروج كذبه بكثرة أيمانه، وإلا فالصادق لا يحتاج إلى كثرة الأيمان، بل ولا يحتاج إلى يمين أصلا؛ لأنه واثق بنفسه إلا إذا كان المخاطب منكرا أو شاكا فقد يؤكده [٦٥].

وفي التفسير الميسر: "وحينئذ يقول بعض المؤمنين لبعض متعجبين من حال المنافقين إذا كشف أمرهم: أهؤلاء الذين أقسموا بأغلظ الأيمان إنهم لمعنا؟!، بطلت أعمال هؤلاء المنافقين التي عملوها في الدنيا، فلا ثواب لهم عليها، لأنهم عملوها على غير إيمان، فخسروا الدنيا والآخرة (٦٦).

مما سبق يمكن القول أن قسم جهد الأيمان جاء في مواضع أربعة من القرآن الكريم في بداية الآيات؛ لأنه جاء على ألسنة الكفار والمنافقين من أجل الخداع والتضليل، والمخبر عنهم هو الله عز وجل، أما في آية سورة المائدة فإن القسم جاء على ألسنة المنافقين في وسط الآية، لأنه قد سبقه استفهام إنكار وتوبيخ مقرون بالدهشة على ألسنة المؤمنين من حال المنافقين بعد انكشاف كذبهم وظهورهم على حقيقتهم وما آل إليه مصيرهم من خسارة ومذلة كان يظن المؤمنون أنها لن تكون مصيرهم بعد كل هذه الأيمان التي أقسموها.

المسألة الثالثة: ما مغزى استخدم لفظ أيمانهم بالجمع لا بالمفرد؟:

كان أهل الجزيرة العربية قبل مجيء الإسلام في شر حال، فلما امتنّ عليهم بالإسلام، وصاروا من أهله وأتباعه صار أهل الجزيرة في خير حال، فقد سادوا الأمم، وأصبحوا خير أمة أخرجت للناس، وقبل الإسلام تنوعت وتعددت مظاهر التردي والسوء في جزيرة العرب كان أبرزها أن العرب يعبدون الأصنام، ويتقربون لها، ويذبحون عندها، ويعظمونها التعظيم كله، وهي من صنع أناسٍ مثلهم من البشر، وأحيانا تكون من صنع أيديهم، من التمر، أو الطين، أو غيرها، وكان عدد الأصنام التي حول الكعبة المشرفة بالمئات، وقد وصفهم الحق سبحانه في كتابه: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ (٦٧).

وقد كان العرب يؤمنون بالغيبيات ويعبدون الأساطير والجن والشياطين والكائنات الخيالية والكواكب والأقمار حتى بدأ انتشار الوثنية في جزيرة العرب انتشارا واسعا، واشتهر هؤلاء بعبادة الأصنام والأوثان واتخذوها آلهة من دون الله، وكانت هذه الأوثان متعددة الصور والأشكال، يقول بعض المؤرخين: "أن صنم (العزى) كان على شكل امرأة، وصنم (اللات) على شكل صخرة مربعة، وكان من أشهر الأصنام في الحجاز، وصنم (ود) على هيئة رجل، وصنم (يعوق)

على صورة فرس، و(يغوث) على صورة أسد، و(نسر) على هيئة نسر وهو أحد الطيور الجارحة، إضافة إلى الأنصاب التي كانوا يذبحون عندها ويتقربون إليها[٦٨].

كما كان العرب يسمون أبناءهم بأسماء العبودية لتلك الأوثان، مثل: (عبد مناف) الجد الرابع للنبي الأكرم صلوات الله وسلامه عليه، وكذلك (عبد العزى)، وأشهر من سمي بهذا الاسم هو (عبد العزى بن عبد المطالب) المعروف بكنية أبي لهب هو عم رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، ومع انتشار عبادة الأصنام بقي أناس حفظهم الله من عبادة غيره سبحانه استجابة لدعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾[٦٩]، واستمرت عبادة تلك الأصنام في بلاد العرب حتى ختم الله رسالاته بمحمد صلى الله عليه وسلم، الذي طهر الله به البلاد، ووجه العباد إلى المعبود بحق، الذي لا يجوز أن يعبد أحد غيره، أو يشرك في عبادته أحد.

وقد جاء القسم والأيمان عند العرب مسايرة لمعتقداتهم الدينية المختلفة، وتلك الأيمان كان لها حضور في أشعارهم التي جاءت تصور هذا الجانب الديني، حيث كان يتبين من خلالها مظاهر من المعتقد والفكر الديني الذي كان ماثلا في حياتهم وبيئتهم، وقد أقسمت العرب بأشياء كثيرة هي: (القسم بالله، والقسم بما يدل على الله، والقسم ببيت الله، والقسم بالأصنام، والقسم بالقبر، والقسم بالهدي، والقسم بالنار، والملح والرماد، والقسم بالعمر، والقسم بالأب)، واليمين المعلقة: ويقصد بذلك الجنوح عن صورة القسم بألفاظ معينة [٧٠]، يقول الشاعر:

بودك ما قومي على أن تركتهم
سليمى إذا هبت شمال وريحها
إذا النجم أمسى مغرب الشمس رابئا
ولم يك برق في السماء يليحها [٧١]

وهنا أضاف الشاعر اسم صنم "ود" وهو أحد أرباب الجاهليين إلى كاف المخاطبة، ويقول آخر:

تعلماها لعمر الله ذا قسما
فاقصد بذرعك وانظر أين تنسلك [٧٢]

ويقول ثالث:

فقلت يمين اللهِ أبرح قاعدًا
ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي (٧٣)

وكانت العرب تستخدم في القسم كلمتي "وأيمُ اللهِ "بكسر الهمزة وفتحها والميم مضمومة، أو كسرها مع كسر الهمزة، وهو اسم عند الجمهور وحرف عند الزجاج، وهمزته همزة وصل عند الأكثر وهمزة قطع عند الكوفيين ومن وافقهم لأنه عندهم جمع يمين، وعند سيبويه ومن وافقه أنه اسم مفرد، واحتجوا بجواز كسر همزته وفتح ميمه، وقالوا عند القسم: وأيمن الله، ثم كثر فحذفوا النون كما حذفوها من لم يكن فقالوا: لم يك، ثم حذفوا الياء فقالوا: (أم الله)، ثم حذفوا الألف فاقتصروا على الميم مفتوحة ومضمومة ومكسورة، وقالوا أيضا: (م الله) بكسر الميم وضمها، وأجازوا في أيمن فتح الميم وضمها، وكذا في أيم، ومنهم من وصل الألف وجعل الهمزة زائدة ومسهلة، وعلى هذا تبلغ لغاتها عشرين (٧٤).

ومما ذكر يتضح لنا أن استخدام لفظ" جهد أيمانهم "بصيغة الجمع ولم يقل" جهد يمينهم "بالمفرد، مرده إلى الطبيعة الدينية التي كانت سائدة في جزيرة العرب؛ حيث تنوعت الأقسام والأيمان باختلاف المعتقدات وانتشار الوثنية والأصنام بمسميات عدة إضافة إلى الأيمان المتعلقة بالأشخاص كالآباء والأجداد وسواها، لذا جاءت الأيمان كتعبير شامل عن كل قسم وذلك لعظم ما أقسم عليه المشركون والمنافقون في هذه المواضع الخمس.

المسألة الرابعة: لماذا اختار الحق سبحانه لفظ (أيمانهم) ولم يقل (قسمهم) أو (أقسامهم)؟:

السياق الطبيعي للجملة أن يقال وأقسموا بالله جهد قسمهم استنادا إلى طبيعة وصيغة الفعل نفسه، لكن للقرآن الكريم موقف آخر، فلقد أحكمت ألفاظه، وفصلت معانيه، فكل لفظة من ألفاظه، وكل معنى من معانيه في أعلى درجات الفصاحة، وأرفع مقامات البلاغة، لا يجارى ولا يدان، ولا تغني كلمة عن كلمة فيه، فلو جمعت كل المترادفات على أن تأتي بكلمة تظن أنها أصلح من كلمة في كتاب الله تعالى فلن تجد إلى ذلك سبيلا؛ وذلك لأنه كلام الملك العلام سبحانه وتعالى، قال عنه الله تعالى (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) (٧٥).

وتظهر بلاغة التعبير القرآنيّ في الفروق بين المصطلحات التي تظهر بادئ الأمر أنها مترادفة المعنى، إضافة إلى احتواء القرآن الكريم على أمثلة تؤكّد على روعة التصوير الفنيّ والتخيّل الحسيّ في التعابير القرآنيّة، ويرى علماء البلاغة القرآنية أن الترادف منعدم، وذلك لأن التراكيب القرآنيّة التي يظهر أنها مترادفة هي للمُتأمّل في بلاغة النّص ودلالاته تحمل فروقا تخرجها عن معنى الترادف من أبرزهم أبو هلال العسكري بينما يرى آخرون كسيبويه والأصمعي مواضع للترادف في القرآن الكريم، ويقصد بالترادف عند أهل اللغة توالي كلمتين مختلفتين أو أكثر والاستدلال بها على شيءٍ واحد (٧٦)، ومن الأمثلة على ذلك "الخشية" و"الخوف": على سبيل المثال فإن الخشية والخوف لهما دلالتان مختلفتان في التعبير القرآني الفريد، يقول الله تعالى: ﴿ويخشون ربّهم ويخافون سوءَ الحِساب﴾ (٧٧)، حيث جاءت الخشية من الله، والخوف من سوء الحساب، والخشية تكون من عِظم المخشي، وهو المولى سبحانه، والخوف يُعبّر به عن ضعف الخائف من المخوف وهو سوء الحساب (٧٨)، وكما أن لفظ" القسم "هو بالتأكيد أعم وأشمل كما قلنا من لفظ" اليمين"؛ نظرًا لتنوع وتعدد الأقسام التي استخدمها المشركون؛ فإن هناك خصائص متعلقة بالجملة القرآنية وصياغتها، فنجد ذلك واضحًا في التلاؤم والاتّساق الكاملين بين كلماتها، وبين حركاتها وسكناتها، فالجملة في القرآن تجدها دائمًا مؤلفة من كلمات وحروف وأصوات يستريح لتألفها السمع والصوت والمنطق، ويتكوّن من تضامّها نسق جميل ينطوي على إيقاع رائع، ما كان ليتِمّ لو نقصت من الجملة كلمة أو حرف، أو اختلف ترتيب ما بينها بشكل من الأشكال.

ويمكن القول: إنّ استخدام جهد "أيمانهم" بدلا من" قسمهم "استنادًا إلى الفعل جاء على أساس أن اليمين كلمة تحمل معنى القسم، واليمين يدل في معناه اللغوي على القوة، وفي الشرع يدل على تقوية أحد طرفي الخبر كما أسلفنا، وإن كان القسم أشمل وأعم من اليمين؛ لأنه ارتبط بمعنى التوكيد، فإن اليمين ارتبط بمعنى القوة، وفي هذه المواضع أراد المولى عز وجل إخبارنا أن المشركين والمنافقين اجتهدوا في تأكيد وتقوية حلِفهم؛ فجمع سبحانه وتعالى بين ﴿أقسموا﴾ للدلالة على تأكيد الحلف و﴿أيمانهم﴾ للدلالة على تقويته، لذلك كان استخدام ﴿أيمانهم﴾ في هذه المواضع أبلغ من استخدام ﴿قسمهم﴾، ومن المعلوم أن التنوع في ألفاظ وصور المعنى الواحد يزيده وضوحا وثراء، والله تعالى أعلم.

المسألة الخامسة: بديع التراكيب والدلالات في الآيات:

الشاهد الأول: قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ (٧٩): هذه الآية هي الوحيدة من بين الآيات الخمس التي جاء فيها (أقسَموا بالله جهدَ أيمانهم) في منتصف الآية بينما جاءت الآيات الأربع الأخرى في بدايتها، ومرد ذلك إلى أن هذه الآية جاءت بصيغة الطلب أو الإنشاء (الاستفهام) على لسان المؤمنين، بينما جاءت باقي الآيات بصيغة الإخبار، (ويقول الذين آمنوا) الذين اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل يقول وآمنوا فعل ماض وفاعله والجملة صلة الموصول لا محل لها وجملة يقول معطوفة على ما قبلها، (أهؤلاء) الهمزة حرف استفهام" هؤلاء "اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ واسم الموصول بعده خبره، (أقسموا بالله) فعل ماض تعلق به الجار والمجرور بعده والواو فاعل والجملة صلة الموصول لا محل لها، (جهدَ أيمانهم)، جهد مفعول مطلق وأيمانهم مضاف إليه.

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "(ويقول الذين آمنوا) في هذه الآية ثلاث قراءات هي: (ويقول) بالرفع، و(ويقول) بالنصب، وفيها قراءة ثالثة (يقول) بالرفع بدون وأو، وهذا من غرائب القراءات أن يحذف حرف من القرآن في إحدى القراءات، أي أن الآية فيها ثلاث قراءات بالرفع والنصب مع ثبوت الواو، وبالرفع مع حذف الواو" (٨٠)، وفي هذه الآية يظهر الاستفهام كأداة للتعجب، بعد أن رأى المؤمنون الكافرين على هذه الحال.

وفي تفسير الجلالين: (ويقول) بالرفع استئنافا بواو ودونها، وبالنصب عطفا على يأتي (الذين آمنوا) لبعضهم إذا هتك سترهم تعجبًا (أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهدَ أيمانهم) (٨١)، ويقول ابن عطية: " ثبت في مصاحف المدينة ومكة، وقرأ حمزة والكسائي وعاصم (ويقول) بإثبات الواو، وكذلك ثبت في مصاحف الكوفيين، وقال الطبري كذلك هي في مصاحف أهل الشرق، وقرأ أبو عمرو وحده (ويقول) بإثبات الواو وبنصب اللام، قال أبو علي وروى علي بن نصر عن أبي عمرو النصب والرفع في اللام، فأما قراءة ابن كثير ونافع فمتعاضدة مع قراءة حمزة والكسائي، لأن الواو ليست عاطفة مفرد على مفرد مشركة في العامل وإنما هي عاطفة جملة على جملة وواصلة بينهما والجملتان متصلتان بغير واو؛ إذ في الجملة الثانية ذكر من الجملة المعطوف عليها (٨٢).

ويرى الزمخشري أن قوله تعالى: ﴿ويقول الذين آمنوا﴾ كلام مبتدأ، أي: ويقول الذين آمنوا في ذلك الوقت، وقرئ: يقول، بغير واو، وهي في مصاحف مكة والمدينة والشام كذلك على أنه جواب قائل يقول: فما ذا يقول المؤمنون حينئذ؟ فقيل: يقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا، فإن قلت: لمن يقولون هذا القول؟ قلت: إما أن يقوله بعضهم لبعض تعجبًا من حالهم واغتباطا بما من الله عليهم من التوفيق في الإخلاص، ﴿أهؤلاء الذين أقسَموا﴾ لكم بإغلاظ الأيمان أنهم أولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار، وإما أن يقولوه لليهود لأنهم حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة، كما حكى الله عنهم، ﴿حبطت أعمالهم﴾ من جملة قول المؤمنين، أي بطلت أعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأى أعين الناس، وفيه معنى التعجب كأنه قيل: ما أحبط أعمالهم! فما أخسرهم! أو من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الأعمال وتعجبًا من سوء حالهم [٨٣].

يتضح مما سبق تعدد الوجوه الإعرابية للفعل (يقول)، مما يترتب عليه اختلاف الدلالة لكل وجه من هذه الأوجه؛ فقد قرئ الفعل (يقول) – كما سبق – بالرفع والنصب، أما في حالة الرفع فيكون الكلام مستأنفًا أو مبتدأ به، وتكون الواو استئنافية، ومعنى ذلك أن هذا كلام مستقل يخبرنا به ربنا سبحانه عن موقف المؤمنين من هؤلاء المنافقين، أما في حالة النصب فيكون الفعل (يقول) معطوفًا على فعلٍ منصوبٍ قبله، وتكون الواو هنا عاطفة، قال تعالى في الآية السابقة لهذه الآية: "فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين" (المائدة٥٢)، فيمكن أن يكون الفعل (يقول) – في حالة النصب – معطوفًا على الفعل (يأتي) في الآية السابقة، أو معطوفًا على الفعل (يصبحوا)، وفي هذه الحالة يكون الكلام متصلًا، ويكون المعنى أن الله سبحانه وتعالى عندما يأتي بالفتح سيندم المنافقون على ما أسروا في أنفسهم، وسيتعجب المؤمنون من حال المنافقين بقولهم الاستفهامي هذا... والله أعلم.

مما سبق نقول: إن آية سورة المائدة جاءت على لسان الذين آمنوا، فقد ذكروا ما قاله الفريق الآخر، ثم ردوا عليهم بأن ﴿حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين﴾، يضاف إلى ذلك أن هذه الآية كما غيرها من الآيات التي ورد فيها مصطلح "جهد الأيمان" جاءت مؤكدة وذلك في اشتراكها في زيادة القسم بـ "جهد الأيمان"، وتتمحور الآية حول الاستفهام الطلبي، فالاستفهام بشكل عام من أكثر

الأساليب التي تكررت في القرآن الكريم، ففي السياق القرآني يتجلى هذا النوع من الأسئلة بشكل واضح وأسلوب يتميز به القرآن وينبغي الانتباه له وفهم مقاصده بشكل تفصيلي لإدراك الرسالة القرآنية المرادة بهذا الكم من الأسئلة، وفي هذه الآية جاء الغرض واضحا من الاستفهام ألا وهو التعجب المصحوب بالإنكار والازدراء من مصير أولئك الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم كاذبين حانثين وما آل إليه مصيرهم من هوان وخذلان وخسران.

الشاهد الثاني: قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٨٤): ﴿وأقسموا بالله﴾ فعل ماض تعلق به الجار والمجرور والواو فاعله، والجملة مستأنفة لا محل لها، ﴿جهد﴾ مفعول مطلق منصوب، ﴿أيمانهم﴾ مضاف إليه، ﴿لئن﴾ اللام موطئة للقسم وإن حرف شرط جازم، ﴿جاءتهم آية﴾ فعل ماض ومفعوله وفاعله والجملة الابتدائية لا محل لها لأنها جواب القسم، ﴿ليؤمنن بها﴾ بها متعلقان بالفعل قبلهما، ﴿قل﴾ فعل أمر، ﴿إنما الآيات﴾ الآيات مبتدأ مرفوع وإنما كافة ومكفوفة، ﴿عند﴾ ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر والجملة مقول القول والجملة الفعلية قل مستأنفة لا محل لها، ﴿وما﴾ اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والواو استئنافية، وجملة ﴿يشعركم﴾ في محل رفع خبر ما، ﴿أنها﴾ أن واسمها، وجملة إذا وما دخلت عليه في محل رفع خبرها، ﴿إذا﴾ ظرفية شرطية غير جازمة، ﴿جاءت﴾ الجملة في محل جر بالإضافة، وجملة ﴿لا يؤمنون﴾ لا محل لها جواب شرط غير جازم، وجملة أن واسمها وخبرها تعليلية لا محل له.

يرى ابن عاشور: أن عطف جملة ﴿وأقسموا﴾ على جملة ﴿اتبع ما أوحي إليك من ربك﴾ الأنعام، الآية ١٠٦، والضمير عائد إلى القوم في قوله: ﴿وكذب به قومك وهو الحق﴾ الأنعام، الآية ٦٦، مثل الضمائر التي جاءت بعد تلك الآية ومعنى: ﴿لئن جاءتهم آية﴾ آية غير القرآن، وهذا إشارة إلى شيء من تعللاتهم للتمادي على الكفر بعد ظهور الحجج الدامغة لهم، كانوا قد تعللوا به في بعض تورُّكهم على الإسلام (٨٥)، ويقول الزمخشري: وما يشعركم ما يكون منهم، ثم أخبرهم بعلمه فيهم فقال: أنها إذا جاءت لا يؤمنون البتة، ومنهم من جعل ﴿لا﴾ مزيدة في قراءة الفتح وقرئ: وما يشعرهم أنها إذا جاءت لا يؤمنون، أي يحلفون بأنهم يؤمنون

عند مجيئها، وما يشعرهم أن تكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات مطبوعا عليها فلا يؤمنوا بها [٨٦].

ويرى ابن عطية أن الضمير في قوله: ﴿وأقسَمُوا﴾ عائد على المشركين المتقدم ذكرهم، وجهدَ نصب على المصدر والعامل فيه ﴿أقسَمُوا﴾ على مذهب سيبويه لأنه في معناه، وعلى مذهب أبي العباس المبرد فعل من لفظة، واللام في قوله: ﴿لئِنْ﴾ لام موطئة للقسم مؤذنة به، وأما اللام المتلقية للقسم فهي قوله: ﴿ليُؤمِنُنَّ﴾ وآية يريد علامة، وحكي أن الكفار لما نزلت: ﴿إن نشأ ننزِّل عليهِم مِن السَّماء آيةً فظلَّت أعناقهُم لها خاضِعين﴾ الشعراء، الآية ٤، أقسموا حينئذ أنها إن نزلت آمنوا فنزلت هذه الآية [٨٧].

نجد هنا في هذه الآية المباركة أنها جاءت بصيغة الإخبار عن حال المشركين الذين لم يبروا بقسمهم وخالفوا شروط ما أقسموا عليه، وفي هذه الآية زيادة أسلوب القسم مع أسلوب الشرط، ودخول اللام الموطئة على أداة الشرط ﴿إن﴾ للإيذان بأن الجواب بعدا مبني على قسم قبلها، لا على شرط، أي أن الجواب هنا جواب قسم لا جواب شرط، وجواب الشرط محذوف يدل عليه جواب القسم، وفي الآية أمر من الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم صلوات الله وسلامه عليه بالرد على هؤلاء المقسمين، وجاءت الآية مؤكدة بزيادة أسلوب القسم والشرط، وجاء القسم فيها جملة فعلية فعلها مضارع مفيد للاستقبال ولذلك كان التأكيد لجواب القسم باللام ونون التوكيد الثقيلة ﴿ليُؤمِنُنَّ﴾، والله أعلم.

الشاهد الثالث: قوله تعالى: ﴿وأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٨٨]: ﴿وأقسَمُوا﴾ ماض وفاعله والجملة مستأنفة ﴿بالله﴾ لفظ الجلالة مجرور بالباء متعلقان بأقسموا، ﴿جهْد﴾ حال من الفاعل أي جاهدين، ﴿أيمانِهِم﴾ مضاف إليه والهاء مضاف إليه، ﴿لا يبعَث اللهُ مَن﴾ لا نافية ومضارع مرفوع ولفظ الجلالة فاعله واسم الموصول مفعول به والجملة لا محل لها لأنها جواب القسم، ﴿يمُوت﴾ مضارع وفاعله مستتر والجملة صلة، ﴿بلى﴾ حرف جواب، ﴿وعدًا﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف، ﴿عليهِ﴾ متعلقان بوعدا، ﴿حقًا﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف، ﴿ولكِنَّ أكثَر﴾ الواو عاطفة ولكن واسمها، ﴿النَّاس﴾ مضاف إليه والجملة معطوفة، ﴿لا يعلَمون﴾ لا نافية ومضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل.

يقول ابن عطية: الضمير في قوله: (وأقسَمُوا) لكفار قريش، و(جهْدَ) مصدر ومعناه فغاية جهدهم، ثم رد الله تعالى عليهم بقوله تعالى: (بلى) فأوجب بذلك البعث، وقوله: (وعدًا عليْهِ حقا) مصدران مؤكدان، وقرأ الضحاك: "بلى وعد عليه حقّ" بالرفع في المصدرين، و(أكْثرَ النّاسِ) في هذه الآية الكفار المكذبون بالبعث [٨٩].

ويقول الزمخشري: (وأقسَمُوا باللهِ) معطوف على وقالَ الذِينَ أشْرَكُوا إيذانا بأنهما كفرتان عظيمتان موصوفتان، حقيقتان بأن تحكيا وتدوّنا: توريك ذنوبهم على مشيئة الله، وإنكارهم البعث مقسمين عليه، و(بلى) إثبات لما بعد النفي، أي بلى يبعثهم، ووعد الله: مصدر مؤكد لما دلّ عليه بلى، لأن يبعث موعد من الله، وبين أن الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه في الحكمة ولكِنّ أكْثرَ النّاسِ لا يعْلمُون أنهم يبعثون أو أنه وعد واجب على الله، لأنهم يقولون: لا يجب على الله شيء، لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة، (لِيُبَيِّنَ لهُمُ) متعلق بما دل عليه، (بلى) أي يبعثهم ليبين لهم، والضمير لمن يموت، وهو عام للمؤمنين والكافرين، والذي اختلفوا فيه هو الحق وليعلم الذِينَ كَفَرُوا أنّهمْ كذبوا في قولهم: لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء، وفي قولهم: لا يبعث الله من يموت، وقيل: يجوز أن يتعلق بقوله ولقدْ بعثنا في كُلّ أمّة رسُولا أي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه، وأنهم كانوا على الضلالة والغي قبله، مفترين على الله الكذب [٩٠].

ويقول صاحب التحرير والتنوير: إنّ الآية انتقال لحكاية مقالة أخرى من شنيع مقالاتهم في كفرهم، واستدلال من أدلة تكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يخبر به إظهارا لدعوته في مظهر المحال، وذلك إنكارهم الحياة الثانية والبعث بعد الموت، والقسَم على نفي البعث أرادوا به الدلالة على يقينهم بانتفائه وإنما أيقنوا بذلك وأقسَموا عليه لأنهم توهموا أن سلامة الأجسام وعدم انْخرامها شرط لقبولها الحياة، وقد رأوا أجساد الموتى مُعرَّضة للِاضمحلال فكيف تعاد كما كانت [٩١].

وجملة لا يبعث اللهُ مَنْ يَمُوت عطف بيان لجملة أقسَمُوا وهِيَ ما أقسَمُوا عليه والعُدول عَنِ (المَوْتى) إلى (مَنْ يَمُوت) لقصد إيذان الصلة بتعليل نفي البعث، فإن الصلة أقوى دلالة على التعليل من دلالة المشتق على عِلّيّة الِاشتقاق،

فهم جعلوا الاضمحلال منافيًا لإعادة الحياة، و(بلى) حرف لإبطال النفي في الخبر والاستفهام، أي بل يبعثهم الله، وانتصب (وعدًا) المفعول المطلق مؤكدًا لما دل عليه حرف الإبطال من حصول البعث بعد الموت، ويسمى هذا النوع من المفعول المطلق مؤكّدًا لنفسه، أي مؤكدًا لمعنى فعلٍ هو "حقا" صفة ثانية لوعدًا، والحق هنا بمعنى الصدق (٩٢).

مما سبق يتضح اختلاف العلماء في إعراب جملة (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) في هذه الآية، فمنهم من جعلها ابتدائية أو استئنافية، ومنهم من جعلها معطوفة على جملة (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء { النحل ٣٥}؛ فإذا كانت الجملة استئنافية فإن الآية تدل على الانتقال إلى حكاية أخرى من حكايات تكذيب المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم، وهي إنكارهم للبعث بعد الموت، أما إن كانت معطوفة على جملة (وقال الذين أشركوا... الآية) فإنها تدل على اتصال الكلام مما يوحي باتصال الموقف، أي إنهم قالوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وأقسموا بالله على عدم بعث الموتى في موقف وأحد، أما إن كانت الجملة ابتدائية؛ فإنها توحي باختلاف الموقف... والله تعالى أعلم.

وهنا يمكن القول: إنّ هذه الآية الكريمة جاءت أيضًا بصيغة الإخبار عن حال المشركين الذين كانوا يعتقدون أن حياتهم الدنيا هي نهاية المطاف، ولا حياة أخرى بعد الموت، ولا بعث ولا حساب، وهفي هذا الموضع تكفل الحق سبحانه وتعالى بالرد علي هؤلاء الكافرين المنكرين للبعث، الذين لم يتحقق شرطهم هنا لأن الحق سبحانه علام الغيوب يعلم عدم صدقهم في تنفيذ الجواب بقوله تعالى: (بلىٰ وعدًا عليهِ حقًا ولٰكِنَّ أكثرَ الناسِ لا يعلمُون)، فالأخبار الغيبية في القرآن تفوق حدود مدارك البشر بكثير، فتراه يتناول الأخبار المتعلقة بالماضي، ويتحدث عن الأقوام التي عاشت قبل التاريخ بأدق خصائصها، وفي الوقت نفسه تراه قد أخبر عن أمور مستقبلية وأشار إليها، وقد ظهر كثير منها بعد ذلك، فكأنه يعرض لأنظار الناس الزمان الماضيَ مع الزمان المستقبل مثل شريط سينمائي، وكأنهما على خطّ واحد أو هما نقطة واحدة.

الشاهد الرابع: قوله تعالى: (**وأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**) (٩٣): (وأقسَمُوا) الواو

استئنافية وماض وفاعله، والجملة معطوفة (بالله) متعلقان بأقسموا، (جهد) حال، (أيمانهم) مضاف والهاء مضاف إليه، (لئن) اللام موطئة للقسم وإن شرطية، (أمرتهم) ماض وفاعله ومفعوله والجملة ابتدائية، (ليخرجن) اللام واقعة في جواب القسم المحذوف ومضارع حذفت منه واو الجماعة لالتقاء الساكنين، والنون هي نون التوكيد الثقيلة، وحذفت نون الرفع لتوالي الأمثال والجملة لا محل لها لأنها جواب قسم، (قل) أمر فاعله مستتر والجملة مستأنفة، (لا تقسموا) لا ناهية ومضارع مجزوم بحذف النون والواو فاعل، (طاعة) خبر لمبتدأ محذوف تقديره هي، طاعة (معروفة) صفة والجملة مستأنفة، (إن الله خبير) إن واسمها وخبرها والجملة تعليل لا محل لها، (بما) ما موصولة متعلقان بالخبر، (تعملون) مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة صلة الموصول.

يقول ابن عطية: (جهد اليمين) بلوغ الغاية في تعقيدها، و(ليخرجن) معناه إلى الغزو وهذه في المنافقين الذين تولوا حين دعوا إلى اللهِ ورسولِهِ وقوله): قل لا تقسموا طاعة معروفة) يحتمل معاني أحدها النهي عن القسم الكاذب إذ عرف أن طاعتهم رديئة فكأنه يقول لا تغالطوا فقد عرف ما أنتم عليه، والثاني أن يكون المعنى لا تتكلفوا القسم طاعة متوسطة على قدر الاستطاعة أمثل وأجدى عليكم، وفي هذا الوجه إبقاء عليهم، والثالث أن يكون المعنى لا تقنعوا بالقسم طاعة تعرف منكم وتظهر عليكم هو المطلوب منكم، والرابع أن يكون المعنى لا تقنعوا لأنفسكم بإرضائنا بالقسم، طاعة الله معروفة وشرعه وجهاد عدوه لائح، وقوله: (إن الله خبير) متصل بقوله: (لا تقسموا) (٩٤).

ويرى ابن عاشور التونسي: "أن القسم هنا عطف على جملة (ويقولون آمنا بالله وبالرسول) النور، آية ٤٧ ، أتبعت حكاية قولهم ذلك بحكاية قسم أقسموه بالله ليتنصلوا من وصمة أن يكون إعراضهم عن الحكومة عند الرسول صلى الله عليه وسلم، فجاءوه فأقسموا أنهم لا يضمرون عصيانه فيما يقضي به، فإنه لو أمرهم الرسول بأشق شيء وهو الخروج للقتال لأطاعوه، وهذه في المنافقين الذين تولوا حين دعوا إلى الله وسوله، ولما بين كراهتهم لحكم النبي أتوه فقالوا والله لو أمرتنا أن نخرج من ديارنا وأموالنا لخرجنا ولو أمرتنا بالجهاد لجاهدنا، وضمير أقسموا عائد إليه ضمير (ويقولون) النور، آية ٤٧، والتعبير بفعل المضي هنا لأن ذلك شيء وقع وانقضي، والتقدير" جهدوا أيمانهم جهدا "، والفعل المقدر في موضع الحال من ضمير" أقسموا "، وإضافة جهد إلى أيمانهم على خذا الوجه من إضافة

المصدر إلى مفعوله، جعلت الأيمان كالشخص الذي له جهد، ففيه استعارة مكنية، ورمز للمشبه" (٩٥).

ويقول الزمخشري في الكشاف: "جهد يمينه" مستعار من جهد نفسه: إذا بلغ أقصى وسعها، وذلك إذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها، وعن ابن عباس رضي الله عنه: من قال بالله، جهد يمينه، وأصل: أقسم جهد اليمين: أقسم يجهد اليمين جهدًا، فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا إلى المفعول كقوله: فضرب الرِّقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال، كأنه قال: جاهدين أيمانهم، و(طاعة مَعْرُوفة) خبر مبتدأ محذوف، أو مبتدأ محذوف الخبر، أي: أمركم والذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب، كطاعة الخلص من المؤمنين الذين طابق باطن أمرهم ظاهره، لا أيمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها، أو طاعتكم طاعة معروفة، بأنها بالقول دون الفعل، أو طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة، وقرأ اليزيدي: طاعة معروفة، بالنصب على معنى: أطيعوا طاعة إنّ الله خبيرٌ بعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من سرائركم، وأنه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم (٩٦).

مما سبق يتضح أن (طاعة معروفة) قرأت بالرفع والنصب، أما قراءتها بالرفع فقد خرّجت على أنها خبرٌ لمبتدأ محذوف، أو أنها مبتدأ والخبر محذوف، والمعنى: أمركم والذي يُطلب منكم طاعة معروفة، أو طاعتكم طاعة معروفة، هذا إن كانت خبرًا لمبتدأ، أما إذا كانت مبتدأ لخبر؛ فإن المعنى: طاعة معروفة أمثل وأولى من أيمانكم الكاذبة، أما في حالة النصب فإنها تكون مصدرًا لفعل أمر محذوف، والتقدير: أطيعوا طاعة معروفة.

مما ورد آنفا نرى أن هذه الآية أيضًا جاءت بصورة الإخبار عن حال المنافقين الذين أقسموا زورًا على الخروج مع النبي للقتال، وفي هذه الآية كذلك لم يتحقق ما أقسموا عليه، وفي الآية أمر صريح ومباشر من الحق سبحانه لرسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه بالرد على من أقسموا، كما أن هذه الآية جاءت مؤكدة بزيادة أسلوب القسم والشرط، ودخلت اللام الموطئة على أداة الشرط "إن" للإيذان بأن الجواب بعدها مبني على القسم قبلها، لا على شرط، فالجواب هنا جواب قسم وليس جواب شرط وجواب الشرط محذوف يدل عليه

جواب القسم، وتأكيد جواب القسم لأنه جاء جملة فعلية فعلها مضارع مفيد للاستقبال ولذلك كان التأكيد لجواب القسم باللام في (ليخرجن)، والله أعلم.

الشاهد الخامس: قوله تعالى: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا) [٩٧]: (وأقسموا) الواو عاطفة وماض وفاعله والجملة معطوفة (بالله) لفظ الجلالة مجرور بالباء ومتعلقان بأقسموا (جهد) في محل نصب حال، (أيمانهم) مضاف إليه والهاء مضاف إليه، (لئن) اللام موطئة للقسم وإن شرطية، (جاءهم نذير) ماض ومفعوله وفاعله المؤخر والجملة جواب القسم لا محل لها، (ليكونن) اللام واقعة في جواب القسم المحذوف ويكونن مضارع ناقص مرفوع بثبوت النون المحذوفة لكراهة توالي الأمثال والواو المحذوفة اسمها، (أهدى) خبر منصوب بالفتحة المقدرة على الألف للتعذر وجملة القسم لا محل لها، (من إحدى) متعلقان بفعل أهدى، (الأمم) مضاف إليه والمراد بقوله أقسموا هم كفار مكة وقالوا إن بعث الله فيهم نبيا ليكونن أهدى من اليهود والنصارى ولكنهم أعرضوا حينما جاءهم، (فلما) الفاء عاطفة ولما ظرف زمان بمعنى حين في محل نصب على الظرفية، (جاءهم نذير) ماض ونذير فاعله المؤخر والهاء مفعوله المقدم والجملة في محل جر مضاف إليه، (ما) نافية، (زادهم) ماض ومفعوله والفاعل مستتر والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، (إلا) أداة حصر، (نفورا) مفعول به ثان لزادهم.

يقول الزمخشري: بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم، فقالوا: لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم، فو الله لئن أتانا رسول لنكونن أهدى من إحدى الأمم، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبوه، وفي إحدى الأمم وجهان، أحدهما: من بعض الأمم، ومن واحدة من الأمم من اليهود والنصارى وغيرهم، والثاني: من الأمة التي يقال لها إحدى الأمم، تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة ما زادهم إسناد مجازي، لأنه هو السبب في أن زادوا أنفسهم، نفورا عن الحق وابتعادا عنه استكبارا بدل من نفورا، أو مفعول له، على معنى: فما زادهم الا أن نفروا استكبارا وعلوا في الأرض أو حال بمعنى: مستكبرين وماكرين برسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين [٩٨].

ويرى ابن عاشور: أن "جهدَ اليمين" أبلغها وأقواها، وأصله من الجهد وهو التعب، يُقال: بلغ كذا مني الجهد، أي عملته حتى بلغ عمله مني تعبي، كناية عن شدة عزمه في العمل، فجهدَ الأيمان هنا كناية عن تأكيدها، وانتصب جهدَ على النيابة عن المفعول المطلق المبيّن للنوع لأنه صفة لما كان حقه أن يكون مفعولا مطلقا وهو أيمانهم إذ هو جمع يمين وهو الحلف فهو مرادف لأقسَموا، فتقديره وأقسَموا باللهِ قسَمًا جهدًا، وهو صفة بالمصدر أضيفت إلى موصوفها [٩٩].

وعند ابن عطية: الضمير في قوله أقسَموا لكفار قريش، وذلك أنه روي أن كفار قريش كانت قبل الإسلام تأخذ على اليهود والنصارى في تكذيب بعضهم بعضا وتقول لو جاءنا نحن رسول لكنا أهدى من هؤلاء وهؤلاء، وجهدَ أيمانهم منصوب على المصدر، أي بغاية اجتهادهم، وإحدى الأمم يريد اليهود والنصارى، و(النفور) البعد عن الشيء والفزع منه والاستبشاع له، واستِكبارًا قيل فيه بدل من النفور، وقيل مفعول من أجله، أي نفروا من أجل الاستكبار، برفع الهمزة كالجماعة [١٠٠].

في هذه الآية المباركة نرى أنها جاءت كذلك بصيغة الإخبار عن المشركين وقسمهم، فقد تحقق ما أقسموا عليه فزادهم نفورًا بدلًا من الهداية التي اشترطوها للقسم، وفي هذا الآية زاد أسلوب القسم مع أسلوب الشرط، ودخلت اللام الموطئة على أداة الشرط "إن" للإيذان بأن الجواب بعدها مبني على القسم قبلها، لا على شرط، فالجواب هنا جواب قسم وليس جواب شرط وجواب الشرط محذوف يدل عليه جواب القسم، والقسم هنا أيضًا جملة فعلية فعلها مضارع مفيد للاستقبال، ولذلك كان التأكيد لجواب القسم باللام في (لَيَكُونَنَّ)، واللّه أعلم.

الخاتمة والنتائج:

إن روعة البيان وسحر الكلام ليعجزان عن التعبير في هذا المجال، فقد تحدث فيه الكثير وطرقته الأقلام أكثر من مرة، وما أنا إلا قطرة في بحر، حاولت في هذه الوريقات أن ألقي ظلالا حمراء على مواضع (قسم جهد الأيمان) في القرآن وهي ليست بالكثيرة؛ خمسة مواضع منها أربعة بدأت بقوله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم)، وجاءت في سور الأنعام والنحل والنور وفاطر على ترتيب المصحف، أما الموضع الخامس من سورة المائدة فقد جاء القسم متوسطا في الآية.

بدأ البحث بتمهيد فصلت فيه مفردات العنوان كمفتاح للبحث (القسم لغة واصطلاحا، الفرق بين الجَهد والجُهد، الأيمان لغة واصطلاحا وشرعا، الحلف واليمين والقسم والفروق الدقيقة بينها، ثم شواهد البحث مصحوبة بالتفسير وأسباب النزول)، ثم انتقلت إلى مسائل البحث عارضا التساؤل ومحاولا الإجابة عنه، وقد جاءت الأسئلة في خمس مسائل:

المسألة الأولى: لماذا اختصت هذه المواضع دون غيرها من أقسام الكفرة والمشركين بتركيب (جهد أيمانهم)؟

المسألة الثانية: لماذا بدأت أربعة مواضع بـ (وأقسَمُوا باللهِ جهْدَ أيْمانِهِمْ) بينما جاء الموضع الخامس في منتصف الآية؟

المسألة الثالثة: ما مغزى استخدم لفظ أيمانهم بالجمع لا بالمفرد؟

المسألة الرابعة: لماذا اختار الحق سبحانه لفظ (أيمانهم) ولم يقل (قسمهم) أو (أقسامهم)؟

المسألة الخامسة: بديع التراكيب والدلالات في الآيات.

ثم جاءت الخاتمة لتحوي خلاصة البحث وأبرز النتائج.

وفي الختام ما أنا إلا بشر قد أخطئ وقد أصيب، فأستغفر الله العظيم على خطأي، وأحمده سبحانه على صوابي، واللهَ الكريم أسأل أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا.

أبرز النتائج التي وصل إليها البحث:

١. القرآن عظيم لعظمة من تكلم به، وهو الله عز وجل، وعظم من نزل به وهو جبريل عليه السلام، وعظم من نزل عليه وهو سيد الخلق محمد صلى لله عليه وسلم، وعظم الأمة التي نزل إليها، وعظم الشهر الذي نزل فيه، وعظم المكان الذي نزل فيه، وعظم اللغة التي نزل بها.

٢. كرّم الله تعالى اللغة العربية، إذ أنزل كتابه الكريم بها على رجلٍ من أهلها صلى الله عليه وسلم، وكرّمها إذ حفظها بحفظ ذلك الكتاب العظيم، وهذا التكريم قطعيُ الدلالة على أنها خيرُ اللغات.

٣. ورد القسم في القرآن الكريم في مواضع وصور مختلفة، جريًا على ما تعود عليه العرب في نقل الأخبار وتأكيدها، من أجل تعزيز مصداقيتها وتوثيقها وترسيخها في العقول والنفوس.

٤. أسلوب القسم أسلوب موجز، يدخل إلى الأسماع والقلوب لذا كانت العرب تستخدمه بكثرة لتأكيد القصص والأخبار، وورد في شعرهم وخطبهم وأحاديثهم نظرًا لتأثيره الكبير على المتلقي.

٥. استخدم القرآن الكريم القسم كما كانت تستخدمه العرب، فلم يفاجئوا بهذا الأسلوب لأنه جاء من جنس كلامهم، مع اختلاف لغة القرآن ووجود الإعجاز الإلهي فيها.

٦. القسم في القرآن الكريم من أروع أوجه البلاغة والبيان، يتميز بروعة الأسلوب وجزالة الألفاظ، لذا ظل هذا الموضوع أرضًا خصبة للعلماء والباحثين وطلاب العلم.

٧. مكونات القسم وأدواته وفوائده اللغوية والنحوية عظيمة عظم اللغة نفسها، لذا استحوذ الموضوع على اهتمام الكثير من العلماء والمفسرين وأساتذة اللغة منذ نزول القرآن الكريم وحتى هذه اللحظة.

٨. القسم والحلف واليمين يستخدمون استخدامات مترادفة وإن كانت هناك فروق لغوية بينهم، إلا أن القسم يعتبر اشمل وأعم لأنه يجمع بين الحلف واليمين.

٩. ورد القسم في القرآن الكريم على لسان الحق سبحانه، والذي أقسم بالكثير من مخلوقاته، كما جاء نقلا عن المشركين والمنافقين وأقوام آخرين ضمن سرد القصص القرآني وأحداثه.

١٠. ورد لفظ "جهد الأيمان" في القرآن الكريم في خمسة مواضع كلها تتعلق بالمشركين والمنافقين، أربعة من هذه المواضع جاءت في أول الآية وواحدة في وسطها لأنها جاءت استفهامًا على ألسنة المؤمنين.

١١. أيمان العرب كانت عديدة ومتنوعة نظرًا لمعتقداتهم الجاهلية، واستخدموا القسم بجهد الأيمان تعظيمًا لتلك الأمور التي أقسموا عليها، رغم نيتهم المبيتة بعدم الوفاء بالقسم والحنث به.

١٢. باستقراء آيات الله البينات، وجدت أن القسم الوارد فيها غالبًا ما يكون بالواو، وأنه لا يكون إلا من الله تعالى في الغالب الأعم، فيقسم الله عز وجل بما شاء على ما شاء، باستثناء بعض المواضع التي أوردها البحث.

١٣. من بين المواضع الخمس التي ورد فيها قسم جهد الأيمان تكفل الحق سبحانه وتعالى في الرد عليهم في موضوعين، آية في سورة النحل والأخرى في سورة فاطر.

١٤. جاءت في الآيات لفظة (أيمانهم) بدلا من (قسمهم) للجمع بين تأكيد القسم بلفظ (أقسموا) وتقويته بلفظ (أيمانهم).

١٥. الآيات الكريمة الخمس والتي هي موضوع البحث جاءت كلها مؤكدة باشتراكها في زيادة القسم "جهد الأيمان"، بينما جاءت آيات جهد الأيمان في ثلاث سور هي الأنعام والنور وفاطر مؤكدة بزيادة أسلوب القسم والشرط.

١٦. اتفق المفسرون على أن جهد الأيمان يراد به المشقة والتوسع في القسم، واستخدم على ألسنة المشركين والمنافقين من أجل الكذب على المقسوم لهم وهم المؤمنون.

١٧. إن عظمة القرآن الكريم ومهابته وجلاله، تؤكد أنه بحر زاخر بمكنون الدرر والجواهر الفريدة، وكلما غاص فيه المرء وجد من عظيم مكنونه الكثير، مع وجوب الاستعانة بالعدة المطلوبة لبلوغ المنشود بتوفيق الله.

المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.
٢. أيمان العرب في الجاهلية، إبراهيم بن عبد الله النجيرمي، تحقيق: محب الدين الخطيب، القاهرة: المطبعة السلفية (د. ت).
٣. بحر العلوم (تفسير السمرقندي)، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق: علي محمد معوض، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.
٤. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار التراث، (د. ت).
٥. بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف، القاهرة: دار غريب ٢٠٠٣م.
٦. تاريخ العرب قبل الإسلام، د. محمد سهيل طقوش، بيروت: دار النفائس، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.
٧. الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد نور الدين المنجد، بيروت: دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
٨. التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.
٩. تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، تونس: الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م.
١٠. تفسير الجلالين الميسر، جلال الدين المحلي، جلال الدين السيوطي، تحقيق: أحمد شاكر، القاهرة: دار الحديث، الطبعة الثانية ٢٠٠٣م.
١١. تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي، القاهرة: مطابع أخبار اليوم ١٩٩٧م.
١٢. تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٩٩٩م.
١٣. تفسير القرآن الكريم، محمد بن صالح العثيمين، الرياض: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.
١٤. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد *الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة ١٩٨٧م.*

١٥. تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، الطبعة الأولى ١٩٤٦م.
١٦. التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الثانية ٢٠٠٩م.
١٧. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
١٨. التيسير في القراءات السبع، عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: حلف بن حمود الشغدلي، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية ١٤١٨ هـ.
١٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.
٢٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الرياض: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
٢١. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية ١٩٦٤م.
٢٢. حاشية الشهاب، عناية القاضي وكفاية الراضي، القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٨٢م.
٢٣. ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، القاهرة: دار المعرفة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.
٢٤. ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، الطبعة الرابعة ١٩٨٤م.
٢٥. ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق: علي حسن فاعور، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.
٢٦. ديوان عمرو بن قميئة، تحقيق: د. خليل إبراهيم العطية، بيروت: دار صادر، الطبعة الثانية ١٩٩٤م.
٢٧. روح البيان في تفسير القرآن، إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.
٢٨. روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، شهاب الدين محمد بن عبد الله الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

٢٩. شمس العلوم ودواء العرب من كل مكلوم، نشوان بن سعيد الحميري، تحقيق: د. حسين عبد الله العمري، وآخرون، دمشق: دار الفكر، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
٣٠. في ظلال القرآن، سيد قطب، القاهرة: دار الشروق ٢٠١١م.
٣١. القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزأبادي، تحقيق: محمد نعيم، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، الطبعة الثامنة ٢٠٠٥م.
٣٢. كتاب سيبويه، عمرو بن عثمان الحارثي، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت: دار الجيل ١٩٩١م.
٣٣. لسان العرب، محمد بن منظور، بيروت: دار صادر، الطبعة الثالثة ١٩٩٤م.
٣٤. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)، عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
٣٥. مختار الصحاح، زين الدين الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت: المكتبة العصرية، الطبعة الخامسة ١٩٩٩م.
٣٦. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.
٣٧. معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، القاهرة: عالم الكتب للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.
٣٨. معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، محمود عبد الرحمن عبد المنعم، القاهرة: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
٣٩. المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس، وآخرون، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة ٢٠٠٤م.
٤٠. مصارع العشاق، جعفر بن أحمد بن الحسين السراج، تحقيق: بسمة أحمد صدقي الدجاني، بيروت: الأكاديمية الإسلامية للعلوم، الطبعة الأولي ٢٠٠٤م.
٤١. معالم التنزيل (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، القاهرة: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ١٩٩٧م.
٤٢. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دمشق: دار القلم، الطبعة الثانية ١٩٩٧م.
٤٣. المُفَصَّل في صَنعة الإعراب، أبو القاسم الزمخشري، تحقيق: د. خالد إسماعيل حسان، القاهرة: مكتبة الآداب ٢٠٠٩م.
٤٤. النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد الجزري بن الاثير، تحقيق: علي بن حسن الحلبي، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

٤٥. نيل الأوطار، محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، القاهرة: دار الحديث، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

الهوامش:

١. لسان العرب، محمد بن منظور، بيروت: دار صادر، الطبعة الثالثة ١٩٩٤م، مادة / قسم.
٢. القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزأبادي، تحقيق: محمد نعيم، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، الطبعة الثامنة ٢٠٠٥م، مادة / قسم.
٣. المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس، وآخرون، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة ٢٠٠٤م، مادة / قسم.
٤. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دمشق: دار القلم، الطبعة الثانية ١٩٩٧م، ص ٦٧٠.
٥. لسان العرب، مرجع سابق، مادة / قسم.
٦. كتاب سيبويه، عمرو بن عثمان الحارثي، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت: دار الجيل ١٩٩١م، ٥٠٢/٣.
٧. كتاب سيبويه، مرجع سابق، ١٠٤/٣.
٨. المُفَصَّل في صَنعة الإعراب، أبو القاسم الزمخشري، تحقيق: د. خالد إسماعيل حسان، القاهرة: مكتبة الآداب ٢٠٠٩م، ص ٤٧١.
٩. بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف، القاهرة: دار غريب ٢٠٠٣م، ص ٢٢٨.
١٠. القاموس المحيط، مرجع سابق، مادة / جهد.
١١. لسان العرب، مرجع سابق، مادة / جهد.
١٢. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولى ١٩٨٧م، ١٧٨/٤.
١٣. النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد الجزري بن الاثير، تحقيق: علي بن حسن الحلبي، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، ص ٥١٧.
١٤. كتاب سيبويه، مرجع سابق، ٣٤٧/٤.
١٥. مختار الصحاح، زين الدين الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت: المكتبة العصرية، الطبعة الخامسة ١٩٩٩م، مادة / جهد.
١٦. سورة التوبة، آية ٧٩.
١٧. التيسير في القراءات السبع، عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: حلف بن حمود الشغدلي، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية ١٤١٨ هـ، ص ٢٤٦.

١٨. معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، القاهرة: عالم الكتب للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، مادة / جهد.
١٩. ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، القاهرة: دار المعرفة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م، ص ٤٩.
٢٠. مصارع العشاق، جعفر بن أحمد بن الحسين السراج، تحقيق: بسمة أحمد صدقي الدجاني، بيروت: الأكاديمية الإسلامية للعلوم، الطبعة الأولي ٢٠٠٤م، ص ١٠٩.
٢١. سورة التوبة، آية ١٢، ١٣.
٢٢. معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، محمود عبد الرحمن عبد المنعم، القاهرة: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، ٣١٤/٣.
٢٣. القاموس المحيط، مرجع سابق، مادة / يمين.
٢٤. شمس العلوم ودواء العرب من كل مكلوم، نشوان بن سعيد الحميري، تحقيق: د. جسين عبد الله العمري، وآخرون، دمشق: دار الفكر، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، ١٩٥/١٠.
٢٥. التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م، ص ٤١٦.
٢٦. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد *الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة ١٩٨٧م، ١٩٦/٢.*
٢٧. تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، تونس: الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م، ٢٣٣/٦.
٢٨. سورة المائدة، آية ٥٣.
٢٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م، ص ١٤٠.
٣٠. تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٩٩٩م، ١١٩/٣.
٣١. سورة الأنعام، آية ١٠٩.
٣٢. تفسير ابن كثير، ٢٠٧/٤.
٣٣. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية ١٩٦٤م، ٤٠٤/٣.
٣٤. سورة النحل، آية ٣٨.

٣٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الرياض: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، ١٩٨/٧.
٣٦. المرجع السابق، ١٩٩/٧.
٣٧. معالم التنزيل (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، القاهرة: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ١٩٩٧م، ٢٨١/٣.
٣٨. سورة النور، آية ٥٣.
٣٩. التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الثانية ٢٠٠٩م، ص ٢١٩.
٤٠. تفسير السعدي، مرجع سابق، ص ٢٣٢.
٤١. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، ٨٧/٧.
٤٢. سورة فاطر، آية ٤٢.
٤٣. تفسير الجلالين الميسر، جلال الدين المحلي، جلال الدين السيوطي، تحقيق: أحمد شاكر، القاهرة: دار الحديث، الطبعة الثانية ٢٠٠٣م، ٢٧٢/١.
٤٤. تفسير بن كثير، مرجع سابق، ٢١١/٥.
٤٥. تفسير الطبري، مرجع سابق، ١١٩/١٠.
٤٦. تفسير القرطبي، مرجع سابق، ٨٢/٦.
٤٧. سورة الروم، آية ٥٥.
٤٨. سورة الأنبياء، آية ٥٧.
٤٩. سورة يوسف، آية ٨٥.
٥٠. سورة المائدة، آية ١٠٦.
٥١. حاشية الشهاب، عناية القاضي وكفاية الراضي، القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٨٢م، ٨٠/٧.
٥٢. تفسير القرآن الكريم، محمد بن صالح العثيمين، الرياض: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م، ٢٦/٢-٢٧.
٥٣. تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي، القاهرة: مطابع أخبار اليوم ١٩٩٧م، ص ٣٨٦٤.
٥٤. روح البيان في تفسير القرآن، إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٩٥م، ٣٥/٥.

٥٥. بحر العلوم (تفسير السمرقندي)، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق: علي محمد معوض، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، ٢٢٥/١.
٥٦. روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، شهاب الدين محمد بن عبد الله الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٩٥م، ٢٥٣/٧.
٥٧. التحرير والتنوير، مرجع سابق، ٢٧١/٦.
٥٨. في ظلال القرآن، سيد قطب، القاهرة: دار الشروق ٢٠١١م، ١٩٨/٣.
٥٩. سورة المجادلة، آية ١٤.
٦٠. سورة المائدة، آية ٥٣.
٦١. تفسير الطبري، مرجع سابق، ١١٩/٥.
٦٢. تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ص ٣٢٠١.
٦٣. المرجع السابق، ص ٣٢٠٢.
٦٤. تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، الطبعة الأولى ١٩٤٦م، ١٣٨/٧.
٦٥. تفسير بن عثيمين، مرجع سابق، ٢٨/٢.
٦٦. التفسير الميسر، مرجع سابق، ص ١٩٤.
٦٧. سورة يونس، آية ١٨.
٦٨. تاريخ العرب قبل الإسلام، د. محمد سهيل طقوش، بيروت: دار النفائس، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م، ص ٢٥٠.
٦٩. سورة إبراهيم، آية ٣٥.
٧٠. أيمان العرب في الجاهلية، إبراهيم بن عبد الله النجيرمي، تحقيق: محب الدين الخطيب، القاهرة: المطبعة السلفية (د. ت)، ص ٦-٧.
٧١. ديوان عمرو بن قميئة، تحقيق: د. خليل إبراهيم العطية، بيروت: دار صادر، الطبعة الثانية ١٩٩٤م، ص ٢٦.
٧٢. ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق: علي حسن فاعور، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، ص ٦٢.
٧٣. ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، الطبعة الرابعة ١٩٨٤م، ص ٢٩.
٧٤. نيل الأوطار، محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، القاهرة: دار الحديث، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، ص ٢٠٨/٥.

٧٥. سورة هود، آية ١.
٧٦. الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد نور الدين المنجد، بيروت: دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، ص ٥٢.
٧٧. سورة الرعد، آية ٢١.
٧٨. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار التراث، (د. ت)، ١٠٤/٢.
٧٩. سورة المائدة، آية ٥٣.
٨٠. تفسير بن عثيمين، مرجع سابق، ٢٥/٢.
٨١. تفسير الجلالين الميسر، مرجع سابق، ٣١٠/٢.
٨٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)، عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، ٦٨/٣.
٨٣. الكشاف، مرجع سابق، ٣٤١/٢.
٨٤. سورة الأنعام، آية ١٠٩.
٨٥. التحرير والتنوير، مرجع سابق، ٤٣٤/٧.
٨٦. الكشاف، مرجع سابق، ٥٧/٢-٥٨.
٨٧. المحرر الوجيز، مرجع سابق، ٣٣٣/٢.
٨٨. سورة النحل، آية ٣٨.
٨٩. المحرر الوجيز، مرجع سابق، ٣٩٣/٣.
٩٠. الكشاف، مرجع سابق، ٦٠٦/٢.
٩١. التحرير والتنوير، مرجع سابق، ١٥٣/١٤.
٩٢. المرجع السابق، ١٥٤/١٤.
٩٣. سورة النور، آية ٥٣.
٩٤. المحرر الوجيز، مرجع سابق، ١٩٢/٤.
٩٥. التحرير والتنوير، مرجع سابق، ٢٧٦/١٨-٢٧٧.
٩٦. الكشاف، مرجع سابق، ٢٥٠/٣.
٩٧. سورة فاطر، آية ٤٢.
٩٨. الكشاف، مرجع سابق، ٦١٨/٣.
٩٩. التحرير والتنوير، مرجع سابق، ٣٣٢/٢٢.
١٠٠. المحرر الوجيز، مرجع سابق، ٤٤٣/٤.